سورة القيامة

مكية، وآياتها أربعون [نزلت بعد القارعة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)﴾

إدخال «لا» النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس [من المتقارب]:

لاَ وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ ... لاَ يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرّ[١]

وقال غوثة بن سلمى [من الوافر]:

أَلاَ نَادَتْ أُمَامَةُ بِاحْتِمَالِ ... لِتَحْزُنَنِي فَلاَ بِكِ مَا أُبَالِي[٢]

---

(١) تقدم.

(٢) إذا نادت أمامة باحتمال ... لتحزنني فلا بك ما أبالي
فسيري ما بدا لك أو اقيمي ... فأيًا ما أتيت ففي تقالي

لغوثة بن سلمى بن ربيعة، يقول: إذا أظهرت أمامة محبوبتي أمارات الارتحال عني لتحزنني، فأطلق النداء على ذلك مجازًا. ويروى «ألا» بدل «إذا» ولا زائدة قبل القسم؛ لأن المعنى فبحقك وحياتك ما أبالي ولا أحزن، وحسن زيادتها: أنها في الغالب مسلطة على دعوى الخصم نافية لها، وفي القسم بمحبوبته على عدم المبالاة ببعدها عنه نوع تهكم بها. وقيل: المعنى فلا يقع ما أبالي على الدعاء، وهذا إنما يظهر على رواية: فلا بك ما أبالي؛ وأصله يكن، أي: يحصل، فحذفت النون عند الجزم تخفيفًا. وما موصولة. ويروى: فأبك، أي: أبعدك الله: دعاء أيضًا. والتقالي: التباغض، أي: فسيري ما دام يظهر لك المسير؛ أو أقيمي، فهما منك سواء، وأي شيء تفعلينه فهو ناشىء عن تباغض بيني وبينك، ومع ذلك لا أعتني بشأنك لأني مشغول بأهم منك: وهو موت أقاربه، والتفت إليها بالخطاب ليصدعها بالجواب.

ينظر: لسان العرب (با)، وتاج العروس (الباء)، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٢٥٣، والخصائص ٢/ ١٩، ورصف المباني ص ١٤٦، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٠٤، ١٤٤، وشرح المفصّل ٨/ ٣٤، ٩/ ١٠١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٠٧، ولسان العرب (أهل)، واللمع ص ٥٨، ٢٥٦.

وفائدتها توكيد القسم، وقالوا إنها صلة مثلها في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وفي قوله [من الرجز]:

فِـي بِـئْـرِ لاحُـورٍ سَـرَى وَمَـا شَـعَـرْ[1]

واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوّله، وأجابوا بأنّ القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض، والاعتراض صحيح؛ لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام، ولكن الجواب غير سديد. ألا ترى إلى امرىء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته. والوجه أن يقال: هي للنفي. والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له. يدلك عليه قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦]، فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام؛ يعني أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل إن «لا» نفي لكلام وردّ له قبل القسم، كأنهم أنكروا البعث فقيل: لا، أي ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل: أقسم بيوم القيامة. فإن قلت: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] والأبيات التي أنشدتها: المقسم عليه فيها منفي، فهلا زعمت أنّ «لا» التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا، كقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾، لا تتركون سدى؟ قلت: لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ، ولكنه لم يقصر. ألا ترى كيف لقي ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد: ١]، بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [التين: ٤]، وكذلك ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥]، بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ وقرئ: «لأقسم» على أنّ اللام للابتداء. وأقسم خبر مبتدأ محذوف، معناه: لأنا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف ﴿بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيامة على تقصيرهن في

---

(١) في بئر لا حور سرى وما شعر ... بإفكه حتى إذا الصبح جشر

«لا» زائدة بين المضاف والمضاف إليه شذوذًا. والحور ـ بالضم ـ: الهلكة جمع حائر أي هالك، كبزل وبازل، ونزل ونازل. وقيل: الحور بمعنى الهلاك، وجمعه: أحور، أي: سرى في بئر هلاك وما درى بذلك. وقوله: «بإفكه» يجوز تعلقه بشعر، ويجوز تعلقه بسرى؛ وشبه سبب الهلاك بالبئر على طريق التصريح للتحير والضرر بالوقوع في كل، ولذلك قال: سرى، وهو يناسب الظلمة والحيرة؛ لأنه بمعنى سار ليلًا. والإفك: الباطل؛ واستعار الصبح للحق على طريق التصريحية. وحشر: أضاء واتضح، فحينئذ تبين كذبه، أي: دام على كذبه حتى ظهر الحق.

ينظر: ديوانه ٢٠، ٢٢، والأزهيّة ص ١٥٤، والأشباه والنظائر ٢/ ١٦٤، وخزانة الأدب ٤/ ٥١، ٥٢، ٥٣، وشرح المفصل ٨/ ١٣٦، وتاج العروس (حور)، (لا)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٢٨، ١٥/ ٤١٨، وبلا نسبة في لسان العرب (حور)، (غير)، (لا)، وخزانة الأدب ١١/ ٢٢٤، والخصائص ٢/ ٤٧٧، وجمهرة اللغة ص ٥٢٥، ومجمل اللغة ٢/ ١٢٠.

التقوى أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. وعن الحسن: إن المؤمن لا تراه إلا لائمًا نفسه، وإنّ الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه[1]. وقيل: هي التي تتلوّم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة. وعلى التفريط إن كانت مسيئة، وقيل: هي نفس آدم، لم تزل تتلوّم على فعلها الذي خرجت به من الجنة. وجواب القسم ما دل عليه قوله ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ وهو لتبعثن. وقرأ/ ٢/ ٢٤٥ب قتادة: «أن لن تُجْمَعَ عظامه»، على البناء للمفعول. والمعنى: نجمعها بعد تفرّقها ورجوعها رميمًا ورفاتا مختلطًا بالتراب، وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض. وقيل إن عديّ بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق[2] وهما اللذان كان رسول الله ﷺ يقول فيهما: «اللهم اكفني جاري السوء» قال لرسول الله ﷺ: يا محمد حدّثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره رسول الله ﷺ؛ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام؟ فنزلت (١٦٩١) ﴿بَلَىٰ﴾ أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع، فكأنه قيل ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها و﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير في نجمع، أي: نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأوّل إلى أن نسوّي بنانه أي: أصابعه التي هي أطرافه، وآخر ما يتم به خلقه. أو على أن نسوّي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف بكبار العظام. وقيل: معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوّي أصابع يديه ورجليه، أي نجعلها مستوية شيئًا واحدًا كخُف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئًا مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال، والبسط والقبض، والتأتي لما يريد من الحوائج. وقرئ «قادرون» أي: نحن قادرون، ﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فيجوز أن يكون مثله استفهامًا، وأن يكون إيجابًا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر، أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على

١٦٩١ ـ ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٤٦٩) دون إسناد.

وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢٧) غريب وهو في تفسير الثعلبي والبغوي وأسباب النزول للواحدي هكذا من غير سند ولا راوٍ.

وقال ابن حجر: ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد انتهى.

---

(١) قوله: «وأن الكافر يمضي قدمًا لا يعاتب» في الصحاح مضى قدمًا ـ بضم الدال ـ: لم يعرج ولم ينثن اهـ. (ع)

(٢) قوله: «ختن الأخنس بن شريق» في الصحاح «الختن» بالتحريك: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ؛ وعند العامة؛ ختن الرجل زوج ابنته. (ع)

فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. يقول: سوف أتوب، سوف أتوب: حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله ﴿يَسْئَلُ﴾ سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قولهِ ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ونحوه: ويقولون متى هذا الوعد.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ تحير فزعا؛ وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. وقرئ: «برق» من البريق، أي لمع من شدّة شخوصه. وقرأ أبو السمال: بلق، إذا انفتح وانفرج. يقال: بلق الباب وأبلقته وبلقته: فتحته ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ وذهب ضوؤه، أو ذهب بنفسه. وقرئ: «وخسف» على البناء للمفعول ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ حيث يطلعهما الله من المغرب. وقيل: وجمعا في ذهاب الضوء[1] وقيل: يجمعان أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران في النار. وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى ﴿ٱلْمَفَرُّ﴾ بالفتح المصدر، وبالكسر: المكان. ويجوز أن يكون مصدرًا كالمرجع، وقرئ بهما ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ، وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مستقرّ العباد، أي استقرارهم. يعني: أنهم لا يقدرون أن يستقرّوا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه[2] ترجع أمور العباد، لا يحكم فيها غيره، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، أو إلى ربك مستقرّهم، أي: موضع قرارهم من جنة أو نار، أي: مفوّض ذلك إلى مشيئته، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمل عمله ﴿و﴾ بما ﴿وَأَخَّرَ﴾ منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به، وبما أخره فخلفه. أو بما قدم من عمل الخير والشرّ، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده. وعن مجاهد: بأوّل عمله وآخره. ونحوه: فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴿بَصِيرَةٌ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣] أو عين بصيرة. والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ، ففيه ما يجزىء عن الإنباء؛ لأنه شاهد عليها بما

---

(١) قوله: «وقيل وجمعا في ذهاب الضوء» لعله: وقيل جمعًا. (ع)

(٢) قوله: «وينصبوا إليه أو إلى حكمه» في الصحاح نصب القوم: ساروا يومهم، وهو سير لين، ونصب الرجل ـ بالكسر ـ نصبًا: تعب. (ع)

عملت؛ لأنّ جوارحه تنطق بذلك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها. وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير الستور، واحدها معذار، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب. فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر[1].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفًا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيًا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضي إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرّك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات/ ٢/ ٢٤٦أ الله عليه يقرأ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علل النهي عن العجلة بقوله﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ جعل قراءة جبريل قراءته: والقرآن القراءة ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فكن مقفيًا له فيه ولا تراسله، وطأمن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ إذا أشكل عليك شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعًا، كما ترى بعض الحراص على العلم؛ ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، ﴿كَلَّا﴾ ردع لرسول الله ﷺ عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة، وقد بالغ في ذلك بإتباعه قوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء، ومن ثم تحبون العاجلة ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ وقرئ بالياء وهو أبلغ فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ إلى آخره، بذكر القيامة؟ قلت: اتصاله به من جهة هذا للتخلص منه، إلى التوبيخ بحب العاجلة، وترك

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وإنما هو من أبنية جمع التكسير انتهى، وهو صحيح، وقيل: معاذير جمع معذار، وهو الستر فالمعنى ولو أرخى ستوره، والمعاذير: الستور. بلغة اليمن قاله الضحاك، والسدي.
قال السمين: هذا القول منه يحتمل أن يكون بيانًا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور أو الاعتذارات، وأن يكون بيانًا للعلاقة المسوغة في التجوز. انتهى الدر المصون.

الاهتمام بالآخرة. الوجه: عبارة عن الجملة[1] والناضرة من نضرة النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٢]، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾، ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه[2]: محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء. ومنه قول القائل [من الكامل]:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ ... وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمَا[3]

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، والباسر: الشديد العبوس، والباسل: أشد منه، ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدّته وفظاعته ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه

---

(١) قال محمود: «الوجوه كناية عن الجملة، وقدم إلى ربها ليفيد الحصر... إلخ» قال أحمد: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يدندن ويطيل في جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه: صنع في مصادمتها بالاستدلال، على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول، لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى، وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به عز وعلا منظورًا سواه؛ وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء؛ ونحن نشاهد العاشق في الدنيا إذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه، ولم يؤثر عليه؛ فكيف بالمحب لله عز وجل إذا أحظاه النظر إلى وجهه الكريم، نسأل الله العظيم أن لا يصرف عنا وجهه، وأن يعيذنا عن مزالق البدعة ومزلات الشبهة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٢) قوله: «لو كان منظورًا إليه» عدم كونه منظور إليه تعالى مبني على مذهب المعتزلة، وهو عدم جواز رؤيته تعالى. ومذهب أهل السنة جوازها. ويجوز أن يكون تقديم المفعول هنا للاهتمام بذكر المنظور إليه، الذي يقتضي النظر إليه نضرة وجوه الناظرين، لا للاختصاص. (ع)

(٣) يقول: وإذا رجوت مكارمك زدتني نعمًا فالنظر إليه كناية عن ذلك. ويجوز أن المعنى: بمجرد نظري إليك تجيبني فوق مسئولي، ولا تحتاج إلى التصريح بالطلب. ومن ملك: تمييز مقترن بمن. والبحر دونك: جملة اعتراضية أو حالية، أي: أقل منك في الخيرات والمكارم.
ينظر البحر: ٨/٣٨٩، الدر المصون: ٦/٤٣١.

الناضرة أن يفعل بها كل خير.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٣٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٣٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك، وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين. والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ للنفس وإن لم يجر لها ذكر، لأنّ الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها، كما قال حاتم [من الطويل]:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[1]

وتقول العرب: أرسلت، يريدون: جاء المطر، ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها: وقال حاضرو صاحبها ـ وهو المحتضر ـ بعضهم لبعض ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ أيكم يرقيه مما به؟ وقيل: هو من كلام ملائكة الموت: أيكم يرقى بروحه؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ ﴿وَظَنَّ﴾ المحتضر ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ أنّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ﴿وَٱلۡتَفَّتِ﴾ ساقه بساقه والتوت عليها عند علز[2] الموت. وعن قتادة: ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوّالاً.

---

(١) أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر
أماوي إن المال غادٍ ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا ... أراد ثراء المال كان له وفر

لحاتم الطائي، والهمزة للنداء، وماوي: مرخم، أصله: ماوية، اسم أمه وهي بنت عفير، وكانت تلومه. وأصله: نسبة للماء، لأنها تشبهه في اللين والرقة والصفاء والشراء. والثروة: الغنى. والحشرجة: تردد صوت النفس في الصدر. والضمير النفس وإن لم تذكر ادعاء لشهرتها. روي أنه لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قالت له عائشة لعمرك ما يغني... البيت، فقال: لا تقولي هذا يا بنية (وجاءت سكرة الحق بالموت) وهي قراءة منسوبة إليه وكرر نداء ماوية للتقريع، وغاد ورائح: آت وذاهب. وقوله: «من المال» أي من آثاره، ولو كفت «علم» عن العمل في المفعول وعبر عن نفسه بالظاهر؛ لأن هذا الكلام تتحدث به نفوس الأقوام، فاعتبر صدوره منهم. وثراء المال: الغنى به، أو جمعه. والوفر: الزيادة والمال الكثير.
ينظر: ديوانه ص ١٩٩، والأغاني ١٧/٢٩٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٤، ١١٣٣، وخزانة الأدب ٤/٢١٢، والدرر ١/٢١٥، والشعر والشعراء ١/٢٥٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٦١، ولسان العرب (قرن)، وأساس البلاغة (حشر)، وبلا نسبة في لسان العرب (حشرج)، وهمع الهوامع ١/ ٦٥.

(٢) قوله: «علز الموت» هو كالرعدة تأخذ المريض. (ع)

وقيل: شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدّة. وعن سعيد بن المسيب: هما ساقاه حين تلفان في أكفانه ﴿ٱلسَّاقُ﴾ أي يساق إلى الله وإلى حكمه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ يعني الإنسان في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [القيامة: ٣] ألا ترى إلى قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، وهو معطوف على ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ [القيامة: ٦] أي: لا يؤمن بالبعث، فلا صدق بالرسول والقرآن. ولا صلى ويجوز أن يراد: فلا صدق ماله، بمعنى: فلا زكاة. وقيل: نزلت في أبي جهل ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾/ ٢/٢٤٦ب يتبختر. وأصله يتمطط، أي: يتمدد، لأن المتبختر يمدّ خطاه. وقيل: هو من المطا وهو الظهر، لأنه يلويه. وفي الحديث: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم» (١٦٩٢) يعني:

١٦٩٢ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) كتاب الفتن: باب (٧٤) حديث (٢٢٦١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٢٥) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٣٠٨) وابن المبارك في الزهد (٢/ ٥٢) والعقيلي (٤/ ١٦٢) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٣٥) كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب وقد رواه أبو معاوية عن يحيى بن سعيد الأنصاري حدثنا بذلك محمد بن إسماعيل الواسطي ثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه ولا يعرف لحديث أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أصل إنما المعروف حديث موسى بن عبيدة وقد روى مالك بن أنس هذا الحديث عن يحيى بن سعيد مرسلاً ولم يذكر فيه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ا.هـ.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر.

أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢٨) من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا.

وقال الدارقطني: غريب عن مالك والمشهور عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ا.هـ.

وله طريق ثالث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٢٥) وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٢٨) وابن أبي الدنيا كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٩) من طريق يحيى بن سعيد عن أبي موسى عن يحنس عن ابن عمر.

وعند البيهقي مرسلاً ولم يذكر فيه ابن عمر. وللحديث شاهد من حديث خولة وأبي هريرة.

ـ **حديث خولة**: أخرجه ابن حبان (١٨٦٤ ـ موارد) من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن عبيد بن سنوطا عن خولة بنت قيس مرفوعًا.

وإسناده ضعيف لضعف مؤمل بن إسماعيل. =

كذب برسول الله ﷺ وتولى عنه وأعرض، ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارًا بذلك ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى ويل لك، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَخَلَقَ﴾ فقدر ﴿فَسَوَّىٰ﴾ فعدل ﴿مِنْهُ﴾ من الإنسان ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على الإعادة. وروي: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك بلى» (١٦٩٣).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة» (١٦٩٤).

= ـ أما حديث أبي هريرة: فأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٢١) رقم (١٣٢).
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٤٠): إسناده حسن.
قال الحافظ: أخرجه الترمذي وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى. وابن عدي من رواية موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر. وموسى ضعيف. وروى الترمذي أيضًا والبزار عن محمد بن إسماعيل عن أبي معاوية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار نحوه. قال الترمذي: ليس له أصل. وإنما المعروف حديث موسى بن عبيدة وقال البزار: لا نعلم أحدًا تابع عليه محمد بن إسماعيل وإنما يعرف عن موسى. واختلف فيه على يحيى بن سعيد فرواه الحاكم من طريق حماد بن سلمة عنه عن عبيد عن خولة بنت قيس. ورواه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة عن عمارة بن خزيمة عن يحيى بن يحنس مولى الزبير عن أبي هريرة. ورواه الأصبهاني في الترغيب من طريق فرج بن فضالة عن يحيى بن يحنس مرسلًا.

١٦٩٣ ـ أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) كتاب الصلاة: باب الدعاء في الصلاة حديث (٨٨٤) من حديث موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال: سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال: بلى، وإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ قال: بلى.
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أبو داود، من رواية موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه عن النبي ﷺ ورواه الحاكم من رواية إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة نحوه.
(قلت): راويه عن إسماعيل عند الحاكم يزيد بن عياض متروك. ولكن أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من طريق سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن رجل عن أبي هريرة. واختلف فيه على إسماعيل على أوجه أخرى ذكرتها في حاشية الأطراف. انتهى.

١٦٩٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الواحدي والثعلبي. وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب انتهى.